الفصل التمهيدي
الوحدة الألمانية ودورها
في نشأة نظام المحالفات

الفصل التمهيدي

- مفهوم الحلف.
- حروب الوحدة الألمانية وأثرها على العلاقات الفرنسية-الألمانية.
- الحرب البروسية-الفرنسية 1870 م.
- الموقف الدولي من نتائج حرب السبعين.
- سياسة "بسمارك" لعزل فرنسا.
- عصبة الأباطرة الثلاثة 1873 م.
- "بسمارك" وفكرة الحرب الوقائية 1875 م.
- الحرب الروسية-العثمانية 1877 م.
- الموقف الدولي من معاهدة سان ستيفانو 1878 م.
- مؤتمر برلين 1878 م.

الفصل التمهيدي

الوحدة الألمانية ودورها في نشأة نظام المحالفات

مفهوم الحلف:

يرى "ديفيد إدوارد David Edward" أن الحلف هو التزام مشروط، ذو طابع سياسي أو عسكري بين مجموعة من الدول باتخاذ بعض التدابير التعاونية المشتركة في مواجهة دولة أو مجموعة من الدول الأخرى المعنية "حتى لو لم تكن هذه التدابير منصوص عليها بشكل واضح"[1].

وفي العصر الحديث أصبح التحالف هو الشكل الوحيد المقبول على مستوى العلاقات الدولية، ومثل هذه الروابط بين دولتين أو حتى مثل هذه التجمعات بين مجموعة من الدول لم تكن شيئاً جديداً في حد ذاته، ففي حقيقة الأمر مثل هذه التحالفات قديمة قدم التاريخ، لكن هذه التحالفات القديمة كانت ذات طابع ديني أو عنصري، ولم تكن هناك تشابهات شائعة بين التحالفات القديمة التي نشأ عنها نوع من الاتحاد الديني، وبين التحالفات الحديثة في القرن التاسع عشر[2].

حروب الوحدة الألمانية وأثرها على العلاقات الفرنسية – الألمانية:

نضجت فكرة الوحدة الألمانية في عقول الألمان، واضطرهم ذلك إلى الدخول في حروب عديدة، وقد تم إبرام محالفة نمسوية بروسية ضد الدانمارك عام 1863م، وأسفرت الحرب بين الجانبين عن انتزاع السيطرة على "هولشتين Holstein" و"شلزويج Schleswig" من الدانمارك لصالح بروسيا والنمسا، غير أنه سرعان ما اختلفت كل من النمسا وبروسيا حول اقتسام الإقليمين[3].

([1]) ممدوح محمود مصطفى، سياسات التحالف الدولي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997، ص139.

([2]) Langer, William, European Alliances and Alignments (1871-1890), New York 1931, P. 5.

([3]) ممدوح محمود مصطفى، المرجع السابق، ص282.

وهنا قررت بروسيا الدخول في حرب مع النمسا، ولكن كان عليها تأمين جانب "فرنسا France"، وقد استطاعت بالفعل الحصول على وعد من "نابليون الثالث Napoleon III"[*] بالوقوف على الحياد عند قيام الحرب بين بروسيا والنمسا[1].

وقد أخطأ "نابليون الثالث"، حيث شعر بأن النمسا ستفوز في الحرب لا محالة، فقام بمساعدة بروسيا لكي تحمي التحالف الإيطالي[2].

في الثالث من يوليو عام 1866 م، استطاعت الجيوش البروسية بقيادة "الكونت فون مولتكه Count Von Moltke"[**] إحراز انتصار كبير على القوات النمسوية في معركة "سادوا Sadwa" في "بوهيميا"، وقد استمرت هذه الحرب البروسية–النمسوية مدة لم تزد عن سبعة أسابيع[3].

والواقع أن "بسمارك" عقب هذه الحرب لم يسعَ إلى إذلال النمسا، بل على العكس رفض فكرة الجامعة الألمانية التي تقوم على أساس ضم الألمان في النمسا، وقد صرح في حديث له مع سفير النمسا في يونيو عام 1870 م قائلاً: "ليست لنا أية مصلحة في أن نرى

(*) "لويس نابليون بونابرت" (20 من أبريل 1808 م–9 من يناير 1873 م):

– كان رئيس الجمهورية الفرنسية، والإمبراطور الوحيد للإمبراطورية الفرنسية الثانية، تولى رئاسة الجمهورية الفرنسية في 20 من ديسمبر 1848 م حتى 2 من ديسمبر 1852 م حين انتهت الجمهورية الفرنسية ليبدأ عصر الإمبراطورية حتى 4 من سبتمبر 1870 م.

– انظر: http://wikipedia.org

(1) عبد الحميد البطريق، التيارات السياسية المعاصرة (1815–1970 م)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص51.

(2) Langer, William, Op. Cit, P. 6.

(**) "فون مولتكه Helmuth Von Moltke (The Elder)" (26 من أكتوبر 1800 م–24 من أبريل 1891 م):

– أحد أهم العسكريين الألمان، استعان به السلطان العثماني "محمود الثاني" لتحديث الجيش العثماني، واستمر في هذه المهمة لمدة عامين، أصبح في عام 1838 م مستشاراً للقيادة العامة للجيش العثماني في أرمينيا، في عام 1839 م، اتجه الجيش جنوباً لمواجهة مصر، ولم يستمع القائد العام إلى نصائح "مولتكه"، وهزم الجيش العثماني في معركة "نزيب" في 24 من يونيو 1839 م، عين قائداً لقوات الجيش الرابع المتمركز في برلين عام 1840 م، وفي عام 1857 م، تم تعيينه قائداً للجيش البروسي، وأحدث تغييرات جمة في الخطط والتكتيكات العسكرية، كان لخططه دور مهم في هزيمة الدانمارك عام 1864 م، وكذلك في الحرب البروسية–النمسوية عام 1866 م، وكذلك في الحرب البروسية–الفرنسية (1870–1871م)، وقد تقاعد "مولتكه" في 9 من أغسطس 1888 م، وتوفي في برلين في 24 من أبريل 1891 م.

– انظر: http://wikipedia.org

(3) The Encyclopedia Americana International, Vol. 24, 1924, P. 85.

تداعي المملكة النمسوية–المجرية لنجد أنفسنا أمام هذه القضية غير القابلة للحل، ماذا سنضع مكانها؟"[1].

ولقد كان لهذه الحرب ونتائجها أثر كبير على العلاقات الفرنسية–البروسية، وأصبحت هناك مخاوف ألمانية إزاء الموقف الفرنسي، فعندما تم الاتفاق على السلام بعد "سادوا"، قام "بسمارك" بتغيير موقفه، ورفض بشدة المطالب الفرنسية و خطط "نابليون الثالث" للحصول على "لكسمبورج Luxemburg" من ملك هولندا قد تم إحباطها نتيجة اعتراضات "بسمارك"، ومنذ ذلك الحين تخلى "نابليون" عن أمله في وضع استقرار سلمي للمنطقة، فاتحاد ولايات ألمانيا –والذي كان أقوى وأكبر من الاتحاد الإيطالي– هدد بتعطيل وهدم الهيمنة الفرنسية على القارة الأوروبية[2].

الحروب البروسية-الفرنسية 1870 م:

زادت العلاقات البروسية–الفرنسية توتراً ببزوغ مسألة العرش الإسباني، حيث كانت إسبانيا تأمل في أن تنقذ نفسها من اضطرابات الحرب الأهلية والنزاعات الحربية عن طريق أسرة حاكمة جديدة، وبدا أن ولي العهد الأمير "ليوبولد فون هوهنزلرن سيغمارنغن Leopold Von Honenzzollern Sigmaringen" هو المرشح الملائم لذلك، وفي الثالث من يوليو عام 1870 م عرض عليه التاج، وفي اليوم التالي قبل الأمير التاج، وفي اليوم نفسه قام "لو سورد Le Sourd" مسئول الشئون الفرنسية في برلين بزيارة مكتب الخارجية الألماني ليعبر عن المشاعر المؤلمة التي عمت باريس إثر قبول الأمير "ليوبولد" الترشيح للعرش الإسباني، وقد رد الجانب الألماني بأن الذي قام بالترشيح هو "المارشال بريم Marshal Prim"، وهو صديق للإمبراطور "نابليون الثالث"[3].

([1]) نور الدين حاطوم، حركة القومية الألمانية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1970، ص252.

([2]) Langer, William, Op. Cit, P. 7.

– انظر أيضاً: Mowat, M. A., History of European, P. 212 .

([3]) Hesekiel, George, Bismarck, his authentic biography, including many of his private letters and personal memoranda, Fords, Howard & Hulbert, New York 1877, pp. 498-499.

وقد أدى إعلان هذا الترشيح إلى نشوب أزمة أوروبية حادة، وأفلح "نابليون الثالث" في إفشال عملية الترشيح[1]، وفي يوم 12 من يوليو 1870 م، أعلنت إسبانيا انسحاب أمير الهوهنزلرن من الترشيح للعرش الإسباني، وبالتالي كان يعد هذا نهاية لهذه الأزمة الطاحنة التي كادت أن تودي بالأطراف المختلفة إلى ميدان القتال، وأصبحت بروسيا في وضع آمن، وبهذا فقدت الحكومة الفرنسية أية ذريعة للاستمرار في سياستها المعادية لبروسيا، ولكن تمادت فرنسا في مطالبها، وطلبت من الملك الألماني "وليم"[*] وعداً بعدم عودة الأمير "ليوبولد" إلى الترشيح مرة أخرى[2]، مع كتابة رسالة تعد بمثابة اعتذار للإمبراطور الفرنسي[3].

([1]) فايت فالنتين، تاريخ الألمان، ترجمة: أحمد حيدر، دار الأبجدية، دمشق 1994، ص340.

[*] الإمبراطور "وليم الأول William I": يعرف أيضاً بـ"وليم العظيم William the Great":

- ولد في برلين في 22 من مارس 1797 م، كان الابن الثاني للملك "فريدريك وليم الثاني FredErich William II".
- خدم في الجيش منذ عام 1814 م، حارب ضد "نابليون الأول" أثناء الحروب النابليونية، وقد أبلى بلاءً حسناً، كما برز وصفه كدبلوماسي متمرس بعد عام 1815 م، أثناء ثورات عام 1848 م، نجح في قمع الثورة التي اندلعت ضد أخيه الملك "فريدريك وليم الرابع Frederich William IV"، كسب "وليم" كراهية شعبه بسبب استخدامه القنابل في قمع تلك الثورة، حتى أصبح يطلق عليه "أمير القنابل"، توفي سلفه "فريدريك وليم" في الثاني من يناير عام 1861 م، وصار "وليم الأول" ملكاً لبروسيا، كان لا يحب التدخل كثيراً في المسائل السياسية، وقد قام بتعيين "بسمارك Otto Von Bismarck" في منصب رئيس الوزراء، والذي قام بإدارة الشئون السياسية في الداخل والخارج على حدٍ سواء، عقب الحرب الفرنسية–البروسية تم إعلان تتويج "وليم الأول" بوصفه إمبراطوراً لألمانيا في 18 من يناير 1871 م في قصر "فرساي Versailles"، وقد تعرض "وليم الأول" لمحاولتي اغتيال فاشلتين؛ الأولى في 11 من مايو 1878 م على يد شخص يدعى "ماكس هودل Max Hödel"، والثانية في الثاني من يونيو من العام نفسه على يد شخص يدعى "كارل نوبيلينج Karl Nobiling"، ونتيجة لذلك استطاع "بسمارك" إقرار قانون مناهض للاشتراكية "Anti-Socialist Law" بموافقة غالبية البرلمان في الثامن من أكتوبر عام 1878 م، وتوفي "وليم الأول" في التاسع من مارس عام 1888 م ليخلفه ابنه الإمبراطور "فريدريك الثالث FredErich III".

وكانت ألقاب وليم الأول:

- صاحب السمو الأمير البروسي (22 من مارس 1797 – 2 من يناير 1861 م) – جلالة ملك بروسيا (2 من يناير 1861 م – 18 من يناير 1871 م) – إمبراطور ألمانيا وملك بروسيا (18 من يناير 1871 م – 9 من مارس 1888م).

– انظر: http://wikipedia.org

([2]) Hesekiel, George, Op. Cit, P. 502.

([3]) فايت فالنتين، المرجع السابق، ص340.

ويفسر البعض ذلك بأن "نابليون الثالث" كان في حاجة إلى أن يوجه أنظار شعبه إلى الشهرة والانتصارات العسكرية؛ لكي يصرفهم عن مسائل السياسة الداخلية، وبهذا استمر في الضغط على بروسيا[1].إلا أن هذا ليس سببا لكي كافيا يقوم حاكم بإقحام دولته في حرب طاحنة

وعلى الجانب البروسي، تم اعتبار المطالب الفرنسية غير مبررة، وبعد عام 1867 م بدأ الطرفان يستعدان لبدء الحرب، ولقد بذل "نابليون الثالث" قصارى جهده كي يقيم تحالفاً بين كل من فرنسا، والنمسا، وإيطاليا، حتى إنه كان يحاول أن يشرك الدانمارك المهزومة، وابتكر جنرالاته خطة الحرب بناءً على فكرة توجيه ضربة سريعة ومكثفة لبروسيا، ولكن الظروف لم تسنح بقيام مثل هذا التحالف، فالنمسا لا ترغب في الانضمام إلى أحد الطرفين، وبالنسبة إلى الإيطاليين، فإنهم طالبوا بمفاوضات تمهد لهم الطريق لامتلاك روما[2].

وعلى الصعيد الآخر، بذل "بسمارك" جهداً كبيراً لكي يحصل على موافقة روسيا، وبذلك يمنع تكوين تحالف بين كل من فرنسا، والنمسا، وروسيا، حتى إنه وضع احتمالية وجود اتفاق بين كل من بروسيا والنمسا وروسيا، ورجح فكرة ضم بريطانيا إلى مثل هذا التحالف، وبهذا اضطر "بسمارك" إلى الاعتماد على صداقة روسيا في مقابل إرضاء طموحات روسيا في الشرق الأدنى[3]، فلقد كانت روسيا تطمح في السيطرة على مضايق الدولة العثمانية؛ كي تجد لنفسها طريقاً إلى المياه الدافئة، ولكنها كانت تواجه معارضة من الدول الأوروبية.

ولقد كان ثقل روسيا وقوتها سبباً في إبقاء أوروبا بعيدة عن الحرب البروسية–الفرنسية عام 1870 م، وبالتالي أطلق "ألكسندر الثاني"[*] يد "وليم" في إخضاع فرنسا، وتوطيد ألمانيا، وإقرار الإمبراطورية[4].

([1]) Hesekiel, George, Op. Cit, P. 492.
([2]) Langer, William, Op. Cit, P. 7.
([3]) Langer, William. Op. Cit, P. 8.

[*] "ألكسندر الثاني Alexander II" (29 من أبريل 1818 م – 13 من مارس 1881 م):
– ولد عام 1818 م، كان الابن الأكبر لـ"نيكولاس الأول Nicolas I" قيصر روسيا، وكانت أمه "شارلوت Charlotte" ابنة "فريدريك وليم الثالث Frederic William III" ملك بروسيا، تولى حكم روسيا عام 1855 م وكان عمره وقتها 37 عاماً، وقد تم اغتياله في 13 من مارس 1881 م.– انظر: http://wikipedia.org

([4]) Hesekiel, George, Op. Cit, P. 597.

وكان دافع "بسمارك" من وراء هذه الفكرة خوفه من مغبة تكوين أي تحالف أوروبي أثناء الحرب البروسية–الفرنسية، يتدخل في اللحظة الأخيرة فيحرم الألمان من ثمار النصر، فقد كان يعلم تماماً أن إيطالياً لم تنسَ الخدمات التي أدتها لها فرنسا في حروب الوحدة، وأن النمسا قد تفكر في أن تنتقم لنفسها بسبب طردها من الاتحاد الألماني[1].

وتوالت الأحداث، وسارت سراعاً نحو نار حرب مستطيرة، وبالفعل في يوم 19 من يوليو 1870 م قامت فرنسا بإعلان الحرب على بروسيا، وقام الملك "وليم" يخطب في شعبه قائلاً: "إن شعبي يعلم أن انتهاك السلام والاعتداء لم يكن من جانبنا، ولكننا وجدنا أنفسنا في تحدٍ، ونحن نصمم كما فعل أجدادنا، ونعتمد على الله في خوض هذه الحرب لنجدة أرض الأجداد"[2].

واندلعت عاصفة الحرب بسرعة مذهلة وخطيرة، وبحلول الخامس عشر من يوليو كانت الحرب أكيدة، وهزم الفرنسيون في المعارك التي دارت حول "مِتز[*] Metz"[3]، وفي الأول من سبتمبر في الساعة السادسة صباحاً بدأت معركة "سيدان Sedan"[**]، والتفت القوات الألمانية، وبدأت تتقدم في دوائر، ودفعت القوات الفرنسية داخل الحصن، وأجبرتها على الاستسلام[4].

وبالتالي استسلم "نابليون الثالث" في سيدان في الثاني من سبتمبر، وإن استمرت المقاومة الفرنسية لعدة أشهر متتالية بعد ذلك[5].

([1]) عبد الحميد البطريق، المرجع السابق، ص58.

([2]) Hesekiel, George, Op. Cit, P. 503.

([*]) مدينة متز: مدينة تقع إلى الشمال من فرنسا، وهي عاصمة إقليم اللورين، وتقع في ملتقى نهر ميوزل.

([3]) Langer, William, Op. Cit, P. 9.

– انظر أيضاً: The Encyclopedia Americana, P. 512.

([**]) "سيدان": مدينة فرنسية غرب نهر "الميز Meuse" على بعد سبعة أميال من الحدود البلجيكية.

([4]) Hesekiel, George, Op. Cit, P. 511.

([5]) Langer, William, Op. Cit, P. 9.

ولكن في النهاية تم قصف الموقع العسكري لباريس، وفي 22 يناير ذهب "جولي فافور Jules Favre" للمركز الرئيس البروسي "في فرساي Vesailles"؛ لكي يمهد للهدنة، وبالفعل تم عقد هذه الهدنة[1].

تم توقيع الهدنة في 28 من يناير 1871 م، وقد أعلن الاتحاد الألماني فيما يسمى "تسوية فرانكفورت"، وكان الملمح الأساسي لهذه التسوية هو تخلي فرنسا عن "الألزاس Alsace" و"اللورين Lorraine" لصالح ألمانيا، وقد كان هذا التنازل من الأهمية بمكان لنواحٍ عديدة، فعلى الصعيد العسكري نجده قد حقق لجنوب ألمانيا الأمان في حالة السلم، والتقدم في حالة الحرب من خلال امتلاك جبال "الفوسجس" وقلعتي "ستراسبورج" و"مِتز"، أما على الصعيد الاقتصادي فتتضح أهمية هذا التنازل من خلال ما تحويه منطقة اللورين من خام الحديد[2].

وبالتالي، فإنه بعد سقوط إمبراطورية "نابليون الثالث" لم تستطع الدبلوماسية عمل الكثير ضد النجاح الذي لا يمكن إنكاره للجيوش البروسية[3]، فإضافة إلى فقدانها "الألزاس" و"اللورين" فرضت عليها غرامة حربية ضخمة وخضعت للاحتلال الألماني لمدة ثلاث سنوات حتى أتمت سداد تلك الغرامة، فضلاً عن الاحتفال بتنصيب "وليم الأول" ملك بروسيا إمبراطوراً على ألمانيا الموحدة بقاعة المرايا بقصر فرساي في 18 من يناير من عام 1871 م[4].

وأعلن "بسمارك" المطالب الألمانية، حيث صرح قائلاً: "مثل هذا النزاع لا يجب أن يستمر، ولكننا مضطرون إلى تأمين ضمانات أساسية لأمن ألمانيا ضد هجوم فرنسي في المستقبل، وأيضاً لتحقيق السلام الأوروبي، والذي لا تسبب له ألمانيا قلقاً ما، ومطالبنا هذه ليست موجهة إلى حكومة زائلة، وإنما إلى الأمة الفرنسية التي تبدو مستعدة لاتباع حكامها

([1]) Mowat, M. A., History of European, P. 214.

([2]) Derry, T. K., Jerman T. L., The European World (1870-1945), London 1950, pp. 39-40.

([3]) Mowat, M. A., Op. Cit, P. 213.

([4]) ممدوح محمود مصطفى، المرجع السابق، ص283.

في خوض الحروب ضدنا، وسلسلة الحروب الهجومية التي شنتها فرنسا ضد ألمانيا لقرون ظلت حقيقة لا جدال فيها"[1].

واستمر "بسمارك" في تبرير المطالب الألمانية، قائلاً: "نحن أبعد ما يكون عن التدخل في شئون فرنسا، إن مطالب ألمانيا هي أن تتم حمايتها بحدود أفضل ضد التهديدات والاعتداءات التي توجهها لنا الحكومة الفرنسية؛ ولهذا فطالما امتلكت فرنسا "ستراسبورج Strassburg" و"مِتز Metz"، فإنها ستكون في وضع أقوى من دفاعاتنا، فميناء ستراسبورج عندما يكون في يد فرنسا يصبح ميناءً ذا نزعة هجومية ضد جنوب ألمانيا، وعلى العكس من ذلك ستصبح لستراسبورج ومِتز نزعة دفاعية في حالة وجودهما في يد ألمانيا"[2]، وهذا تبرير غير منطقي، فما الدليل على أنه سيصبح ذا نزعة دفاعية في حالة وجوده في يد ألمانيا؟ فقد يكون "بسمارك" قد قصد من وراء ذلك عدم نية ألمانيا في شن هجوم على فرنسا، في حين أنه يرى أن العكس صحيح.

ورغم إنه لم تكن هناك فرصة كبيرة للمساومة، فإن "تيير Thiers" عمل على أن يجعل "بسمارك" يقلل من مطالبه المالية من ستة مليارات فرانك إلى خمسة مليارات فرنك[3].

والسؤال الآن: ماذا عن الموقف الدولي من أحداث هذه الحرب؟

بالنسبة إلى روسيا، بذل الإمبراطور "ألكسندر الثاني Alexander II" قصارى جهده لمساعدة خاله "وليم الأول" أثناء الحرب مع فرنسا، وعندما بدأت الحرب أعلن في فيينا أنه على استعداد تام لمساعدة "وليم الأول" بجيش مكون من ثلاثمائة ألف رجل، وذلك إذا ما قامت الحكومة النمسوية بالتعبئة للحرب ضد بروسيا، وبعد هزيمة فرنسا في فبراير عام 1871 م، أرسل "وليم الأول" برقية للإمبراطور "ألكسندر الثاني" يعترف فيها بأن بروسيا لن تنسى أن لروسيا الفضل في أن الحرب لم تتخذ أبعاداً قصوى، ولقد تسببت تلك البرقية في إحراج السفير البروسي في فيينا "الجنرال فون سكوينيتز General Von Schweinitz"،

([1]) Hesekiel, George, Op. Cit, P. 525.

([2]) Hesekiel, George, Op. Cit, P. 525.

([3]) Mowat, M. A., Op. Cit, P. 217.

حيث أظهرت للعالم أجمع أن حياد النمسا لم ينبثق من التعاطف مع الألمان، ولكن ينبثق فقط من تهديد روسيا[1].

وعلى الرغم من أن بعض وزراء "ألكسندر الثاني" قد لفتوا انتباهه إلى خطر ألمانيا القوية، وعدم الرغبة في هزيمة فرنسا هزيمة تامة، إلا أن الموقف الروسي كان في صالح البروسيين دائماً منذ البداية واستمر حتى النهاية[2].

ولكن روسيا حققت من وراء هذه الحرب مصلحتها الخاصة، حيث تنصلت من ذلك البند الذي تضمنته اتفاقية باريس عام 1856 م، والذي حرم على سفنها الحربية الرسو في البحر الأسود، فكان من شأن هذا التصرف أن أثار الأطراف الموقعة على معاهدة باريس[3].

فلقد كانت روسيا تهدف من وراء مساعدتها لبروسيا إلى الحصول على موافقتها على الاستيلاء على "البوسفور Bosphorus"، وأن تحول "البحر الأسود Black Sea" إلى بحيرة روسية[4].

والواقع أن فرنسا حاولت كثيراً كسب الدعم الدولي، فبعد سقوط الإمبراطورية الثانية، فإن "جولي فافور" –الذي شغل منصب وزير الشئون الخارجية في حكومة الدفاع القومي– طلب من "تيير" أن يحاول كسب الدعم من بريطانيا العظمى، ولقد وافق "تيير"؛ ولذلك فقد بدأ رحلته من باريس في 12 سبتمبر من عام 1870 م، وقضى خمسة أيام في بريطانيا و في 23 كان في فيينا، وفي 26 كان في "سان بطرسبرج St. Petersburg"، وفي 11 أكتوبر كان عائداً إلى فيينا مرة أخرى في طريقه إلى "فلورنسا Florence"، والتي كانت لا تزال عاصمة مملكة إيطاليا، وفي كل مكان كانت تتم مقابلته بحفاوة وتكريم واهتمام، ولكن دون أية عروض للمساعدة[5].

([1]) Eyck, Erich, Bismarck and the German Empire, George Allen & Unwin, London 1960, P. 188.

([2]) Langer, William, Op. Cit, P. 11.

([3]) Henderson, Ernest, A short history of Germany, Vol. 2 (1648-1914), New York, 1917, P. 475.

([4]) Hesekiel, George, Op. Cit, P. 597.

([5]) Mowat, M. A., Op. Cit, P. 214.

حيث رفضت الحكومة الإنجليزية التدخل في أية صراعات إلا إذا طلب أطراف الصراع ذلك صراحة، ولكن كان تعاطفها بشكل عام مع بروسيا، والتي كان ينظر إليها بشكل عام على أنها ضحية للأطماع الفرنسية [1].

ويرى البعض أن حكومة "جلادستون Gladstone"، والتي كانت بها العديد من المميزات قد أخطأت بتركيز اهتمامها الكلي تقريباً على الشئون الداخلية للبلد، لكن حتى "جلادستون" كان مستعداً لمحاربة أية قوة قد تغزو بلجيكا؛ لذلك فقد عقد معاهدات مع بروسيا في 9 من أغسطس 1870 م، ومع فرنسا 11 أغسطس يلزم بريطانيا بأن تقاتل بكل قواها عن طريق البر والبحر ضد أية قوة قد تنتهك حيادية بلجيكا[2].

أما عن إيطاليا، فقد كان "فيكتور عمانويل" شغوفاً بتأييد "نابليون" [3]، فالوحدة الإيطالية تدين بالفضل للمساعدات الخارجية نتيجة لتأييد فرنسا من ناحية، ونتيجة للاتفاق بعد ذلك مع بروسيا، وعلى كلٍ فإن إيطاليا لم تقدم الدعم لفرنسا، بل انتهزت فرصة الهزيمة الفرنسية لتدخل جيوشها روما وتعلنها عاصمة للدولة الإيطالية الجديدة[4].

الموقف الدولي من نتائج حرب السبعين:

السلام عام 1871 م كان حاجة ماسة إلى الإمبراطورية الألمانية، فألمانيا كانت مليئة بالمشكلات، وفي حالة جعلتها ترغب في العيش بسلام مع جيرانها، ولا مفر من أن فرنسا المجزأة ستحلم باليوم الذي تراجع فيه اتفاقية فرانكفورت، وذلك من خلال حرب ناجحة الهدف منها الانتقام[5]، وبهذا فإنه بعد عام 1871 م لم يعد سراً أن فرنسا ستستغل أول فرصة لتحاول أن تسترد الإلزاس واللورين[6]، ولكنها كانت تعرف في قرارة نفسها أنها لن تستطيع أن تقف أمام ألمانيا وحدها، أما فيما يخص البحث عن حلفاء، فإن ضعف فرنسا جعلها شريكاً غير مرغوب فيه[7].

([1]) Langer, William, Op. Cit, P. 212.

([2]) Mowat, M. A., Op. Cit, P. 212.

([3]) Langer, William, Op. Cit, P. 35.

([4]) محمد مصطفى صفوت، مؤتمر برلين عام 1878 وأثره على البلاد العربية، معهد الدراسات العربية بالقاهرة، 1957، ص5.

([5]) Robertson, Grant, Bismarck, London 1918, pp. 329-330.

([6]) Henderson, Ernest, Op. Cit, P. 474.

([7]) Derry, T.K., Op. Cit, P. 46.

وقد عبر "بسمارك" عن رغبة ألمانيا في تجنب الصدام مع فرنسا بقوله: "نحن نرغب في أن تتركنا فرنسا نعيش في سلام، ولكي يتم لنا ذلك يجب أن نمنعها من عقد أية تحالفات، وطالما أن الملكيات الأوروبية متحدة معاً، فلا يمكن لجمهورية أن تمثل خطورة بالنسبة إليها، فالجمهورية الفرنسية لن تجد بسهولة حليفاً ملكياً ضدنا"[1].ولكن الواضح أن القائمين على العمل السياسي لا يعنيهم السلام بقدر اهتمامهم بتحقيق المصالح والأهداف الخاصة بدولهم.

ولقد أصاب المستشار الألماني كبد الحقيقة إلى حدٍ كبير، فلا يمكن إغفال الجانب الأيديولوجي في التقريب بين الدول أو التفريق بينها، ولكن إذا طغت المصالح السياسية والاقتصادية على هذا الجانب الأيديولوجي، فإنه من الممكن عقد تحالف ما بين دول مختلفة أيديولوجياً.

وقد حاول "بسمارك" امتصاص الغضب الفرنسي، فلم يعمل على القضاء على الدولة العظمى الفرنسية، ورفض ضم مستعمرات فرنسية إلى دولته، ولكن ذلك في النهاية لم يخفف من حدة فكرة الانتقام الفرنسية، فأمة اعتادت أن تبسط نفوذها على أمم أخرى، وأن تعتز بتفوقها العسكري لا تستطيع أن تنسى الهزيمة التي منيت بها[2].

فلم تكن اللورين إلا جزئياً منطقة ناطقة بالألمانية، غير أن السكان الناطقين بالألمانية هناك شاطروا في معظمهم أبناء وطنهم من الفرنسيين تفكيرهم الغربي الديمقراطي الطابع، ولقد كان لكل من الثورة الفرنسية والحقبة النابوليونية أثر كبير في ذلك، وهاتان المقاطعتان ارتبطتا منذ القدم بعلاقات جوار مع جنوب ألمانيا، لكن الشخصية البروسية بدت لهما غريبة تماماً، على أية حال، أصبحت الحدود الجديدة لألمانيا آمنة بعد السيطرة على حصني "مِتز" و"ستراتسبورج"[3].

([1]) Lipson, M.A., Europe in the Nineteenth Century, A.C., Black, London 1921, P. 265.

([2]) Bartlett, C. J., Peace, War and the European Powers (1814-1914), Palgrave Macmillan, New York 1996, P. 98.

([3]) فايت فالنتين، المرجع السابق ، ص342.

وبهذا نجد أن "بسمارك" حاول بشتى الطرق حل هذه المشكلة التي أوجدها بنفسه، فهو من جانب يبدي لفرنسا رغبته في السلام، ومن جانب آخر يسعى إلى عزل فرنسا لاجتناب حرب انتقامية من جانبها.

وبالنسبة إلى الموقف الدولي، ففيما يخص بريطانيا نجدها قد نظرت إلى ألمانيا الجديدة بارتياح، حيث إنها بروتستانتية، وإن لم تكن ليبرالية، كما أن الوزراء البريطانيين كانوا سعداء من أجل استقرار أوروبا، وبالتالي إطلاق يدها في التصرف أينما تشاء[1].

فكما ذكرنا آنفاً أنه أثناء الحرب البروسية الفرنسية كانت تسيطر على بريطانيا حكومة الأحرار بزعامة "جلادستون"، والذي تميز باهتمامه بالمشكلات الداخلية لبريطانيا ذاتها، وبالتالي كان ميالاً للعزلة عن أوروبا ومشكلاتها السياسية، فكل ما يهم بريطانيا في ذلك الوقت بالنسبة إلى مسائل أوروبا هو ألا يحدث تغيير سياسي جوهري في هولندا أو بلجيكا، وبالتالي، ورغم كون بريطانيا كانت ما تزال سيدة البحار، وأكبر إمبراطورية استعمارية لم يعلوها صوت مسموع في السياسة الأوروبية حتى تولى "دزرائيلي"(*) الوزارة[2].

أما على صعيد العلاقات الألمانية–النمسوية، فقد أكد "بسمارك" بشدة على رغبته في وجود تفاهم بين الطرفين[3]، فلقد أراد "بسمارك" إقرار السلام للحفاظ على الإمبراطورية الألمانية الوليدة، خاصة فيما يخص الأعداء القدامى مثل النمسا.

وعلى الجانب الروسي، توطدت العلاقات الألمانية–الروسية، فلقد كسب "بسمارك" ود القيصر بمساعدته –بعد معركة سيدان– في أن يحرز تعديلاً في تلك العبارة في معاهدة

([1]) Bartlett, C. J., Op. Cit, P. 98.

(*) "بنيامين دزرائيلي Benjamin Disraeli" (21 من ديسمبر 1804 م–9 من أبريل 1881 م):

– سياسي بريطاني محافظ من أصل يهودي، كان الابن الثالث لكاتب ومؤرخ يدعى "إيزاك دزرائيلي"، بدأ "بنيامين دزرائيلي" العمل بالسياسة منذ عام 1830 م، تولى منصب مستشار المالية في الفترة (27 من فبراير 1852 م–17 من ديسمبر 1852م)، ثم تولى المنصب ذاته مرة أخرى في الفترة (26 من فبراير 1852 م–11 من يونيو 1854 م)، ثم مرة ثالثة في الفترة (6 من يوليو 1856 م–29 من فبراير 1866 م)، تولى رئاسة وزراء بريطانيا في الفترة (27 من فبراير 1868 م–1 من ديسمبر 1868 م)، ثم مرة أخرى في الفترة (20 من فبراير 1874 م–21 من أبريل 1880 م).

– انظر: http://wikipedia.org

([2]) Mowat, M. A., Op. Cit, P. 212.

([3]) Langer, William, Op. Cit, P. 19.

باريس عام 1856 م، والتي حددت عدد السفن البحرية الروسية في البحر الأسود[1]، وأبدى الساسة الألمان عدم ارتياحهم عندما أعلنت الحكومة الروسية عدم التزامها ببنود هذه الاتفاقية، حيث اعتقدوا أن التوقيت غير مناسب لاتخاذ هذه الخطوة، ولقد كان الخوف رهيباً من أن تنشب الحرب بين روسيا وبريطانيا، وبالتالي نشوب حرب أوروبية عامة[2].

وقد كانت بريطانيا هي القوة الوحيدة القادرة على معارضة روسيا، ولم تكن الحكومة البريطانية متحمسة في تلك الفترة لمعاهدة 1856 م، ولكن الشيء الذي لم يكن يسمح به هو إلغاء المعاهدة الأوروبية من جانب واحد، ولقد أرسل مجلس الوزراء البريطاني "أودوراسل" لمناقشة المسألة مع "بسمارك" الذي اعتبرته بريطانيا المحرض لتصرف روسيا على هذا النحو، ولقد تجاوز "أودوراسل" الأوامر، وأعلن لـ"بسمارك" بجرأة أن بريطانيا سوف تلجأ إلى الحرب، سواء بمساعدة الدول الحليفة أو دون مساعدتها إذا استمرت روسيا على هذا الموقف الأحادي الجانب، ونتيجة لقلق "بسمارك" من نشوب مثل هذه الحرب فقد آتت هذه الفكرة ثمارها، ووافق "بسمارك" على عقد مؤتمر دولي لمناقشة المسألة[3]، وبالفعل تمت الدعوة لعقد مؤتمر عام يضم القيادات الأوروبية، وتم هذا في النهاية في 17 يناير 1871 م وحتى 13 مارس من العام نفسه، حيث استنكر المؤتمر موقف الحكومة الروسية، وأعيدت صياغة اتفاقية البحر المتوسط، وتم التأكيد على المبدأ الخاص بعدم استطاعة أية دولة تغيير بنود هذه الاتفاقية بصورة عشوائية دون موافقة باقي الأعضاء[4].

سياسة "بسمارك" لعزل فرنسا:

لقد أراد "بسمارك" أن تنعم ألمانيا بالسلام؛ لكي تحافظ على ما حصلت عليه من مكاسب، ولكنه كان يعلم جيداً أن فرنسا بعد فقدها للألزاس واللورين لن تكف عن إثارة المتاعب لألمانيا رغبة في الانتقام منها كلما سنحت الظروف لذلك.

---

(1) Henderson, Ernest, Op. Cit, P. 475.

(2) Langer, William, Op. Cit, P. 11.

(3) Eyck, Erich, Op. Cit, P.

(4) Langer, William, Op. Cit, P. 11.